المحور الثاني: العلاقات الدولية كحقل جديد للدراسة

استقلالية العلم

تعود العلاقات الدولية كعلم مستقل إلى فترة مابين الحربين، حيث برزت بقوة بعد الحرب العالمية الثانية، وبالضبط مع تأسيس أول منبر للسياسة الدولية بالجامعة البريطانية.

فدراسة العلاقات الدولية مشتقة في نفس الوقت من القانون الدبلوماسي والقانون الدولي مثلما أن علم السياسة كان مرتبطا بالقانون العام، وكما استقلت السياسة استقلت العلاقات الدولية التي هي فرع منها، فانفصلت عن التاريخ والقانون، وبعيدا عن النقاش الابستمولوجي أو المنهجي حول ارتباط العلاقات الدولية بعلم السياسة أو انفصالها، يمكن القول أن العلاقات الدولية انفصلت عن علم السياسة لكنها ظلت بحاجة ماسة لها.

وعموما فإن العلاقات الدولية في التصور العلمي تقع ضمن ثلاثة تصورات يدور حولها الباحثون ويمكن تلخيصها في ما يلي:

التصور الأول:

يرى أنه لا وجود لها من الناحية العلمية، إذ أن جميع الدراسات في المجالات الأخرى، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية... تشكل مدخلا لفهم المستجدات على الساحة الدولية.

التصور الثاني:

يرى أن العلاقات الدولية فرع منبثق عن علم السياسة، إلا أن الواقع يقول أنها علم واحد ويصعب التفريق بينهما.

التصور الثالث:

يرى أن العلاقات الدولية هي معرفة علمية مستقلة، أي أنها علم مستقل له منهجه وموضوعه، وهناك اتفاق حول فروعها ومناهجها. فسبب عدم الاعتراف بالعلاقات الدولية كعلم حسب هذا التصور هو

ارتباطها بالعلوم الأخرى والتي هي أقدم منها من حيث النشأة وأرسخ منها استقرارا ووضوح المفاهيم الأساسية لها، ومن هذه العلوم القانون الدولي والتاريخ الديبلوماسي.

ويبرر استقلالية العلاقات الدولية عن علم السياسة بفكرة الاختلاف الجذري بين طبيعة السياسات الداخلية والسياسة الدولية. فرغم أن علم العلاقات الدولية قد تأخر في الظهور لكن الاهتمام بالظاهرة الدولية كان موجودا مثلما رأيناه سابقا من خلال الوثائق والكتب... فمساهمات المفكرين والفلاسفة منذ بداية التاريخ مازالت موجودة مثل أرسطو، ابن خلدون، لوك، هيغل.. وغيرهم.

هذه الكتابات والمساهمات التي تميزت بتبعثرها وصعوبة فهمها للقارئ العادي إلى غاية القرن 19، بدأت تزدهر وترتبط مباشرة بحقل العلاقات الدولية حيث ازدهرت ثلاث موضوعات هي: الدبلوماسية، توازن القوى والقانون الدولي.

يمكن حصر العوامل التي ساهمت في ظهور علم العلاقات الدولية وتحديد موضوعه في العناصر التالية:

– الحرب العالمية الأولى و13 مليون ضحية وهو الأمر الذي دمر أسطورة "المهمة الحضارية للغرب"، فقد بدت الرغبة جلية بعد الحرب للمعالجة السلمية للعلاقات الدولية لخمة السلام والأمن الدوليين.

– يمكن إضافة عنصرين آخرين لهذا العامل الرئيسي يتمثلان في:

– التحول في ميكانيزم التوازن الأوربي أدى إلى التخلي عن الاعتماد على تحليل الحرب وفق عوامل تاريخية وبدأ الاهتمام بالعوامل السوسيولوجية في سلوك الفاعب=لين.

– رفض الولايات المتحدة لعب الدور الذي تحتم عليها بعد تدخلها في 1917.

وهكذا أسس الفكر السياسي الدولي حقلا علميا جديدا تحت مسمى "علم العلاقات الدولية"، وساهمت الحرب العالمية الأولى في ميلاد النظرية في العلاقات في العلاقات الدولية، وتجددت أكثر في موضوعها وهدفها ومنهجها واستطاعت تحدي العوائق الابستيمولوجية لتكون بذلك علما. ففي البداية كانت الحاجة هي تحقيق السلم لكن فيما بعد اعترف المختصون بالحاجة النظرية لتحقيق أهداف السلم، وتم حصول إنتاج كبير في هذا المجال، لكن الأمر مر من خلال عدة نقاشات وحوارات ما بين النماذج شملت متخصصين متعارضين حول الأجوبة والحلول الرئيسية، ويتعلق الأمر بالأسئلة المحورية التالية:

1- التساؤل النظري الأول:

لماذا العلاقات الدولية؟ جرى هذا النقاش في فترة ما بين الحربين، حيث أجاب الدوليون les internationalistes بأنه يجب المساهمة في تغيير السياسة الدولية الحالية، ورد الواقعيون بالاكتفاء فقط بتفسيرها.statut quo

2- التساؤل النظري الثاني:

منهج العلاقات الدولية، كيف هي العلاقات الدولية، في سنوات 1950-1960 حاول التقليديون traditionalistes البحث عن إجابة من خلال الفلسفة والتاريخ، بينما اعتمد السلوكيون على الاقتباس من العلوم الدقيقة.

3- التساؤل النظري الثالث:

موضوع علم العلاقات الدولية، واستمر من سنوات 1970 وبداية 1980 حيث أجاب الواقعيون أن الموضوع يتعلق بدراسة العلاقات بين الدول، بينما اقترح العبر وطنيون trans nationalistes الماركسيون تحليل العلاقات الدولية العابرة للحدود transfrontalière ما بين كل الفواعل بما فيها الطبقات الاجتماعية.

4- التساؤل النظري الرابع:

إمكانية علم العلاقات الدولية (faisabilité d'une science des relations internationales) هل بإمكاننا دراسة العلاقات الدولية، هذا النقاش امتد على عشرين سنة منذ 1980، إذ أجابت مختلف المقاربات المتفوقة supra بنعم على عكس المقاربات ما بعد الوضعية التي أجابت بنعم ولكن، أو لا.

هذا التقسيم الذي جاء به "داريو باتيستيلا" Dario Battistella أين قسم هذه الحوارات إلى أربعة بدل اثنين، نجد أن الحوار الأول والثاني يهتمان بمضمون أو موضوع العلاقات الدولية بينما الحوار الثالث والرابع يهتمان بمنهج العلاقات الدولية.